أولا: القرآن الكريم:

تمهيد: يعد القرآن الكريم أول مصادر استنباط مقاصد العقيدة الإسلامية وذلك لما يتضمنه من مختلفة: معرفية وتربوية المتعلقة بالإنسان في أفقه الفردي والجماعي ثم الإنساني، ولعلّ الوقوف على مبحثي التعليل في القرآن الكريم، مقاصد القرآن الكريم هما أغنى المباحث التي تيسر على الباحث الوقوف على مقاصد العقيدة الإسلامية المتضمنة فيها، لذا سنعمل من خلال هذه المحاضرة على الوقوف على نمط التعليل في القرآن الكريم، إضافة إلى أخذ نماذج من المفكرين المسلمين الذين تناولوا مقاصد القرآن في كتاباتهم:

1-النمط التعليلي في القرآن الكريم للمسائل العقدية: يتميز التعليل القرآني في بيان مقاصد العقيدة بتركيزه على الآثار السلوكية المترتبة على التصور الحقيقي لمفهوم العقيدة، إذ العقيدة دون عمل، ولا علم، ولا معرفة لحقيقة أسماء الله الحسنى وسماتها العلى، لا معنى لها في مفهوم القرآن، وهذا الأفق من النظر يجعل للتوحيد معنى باعتباره محو الفهم والتفسير والتدبر والتفكر والاتعاظ.

هذا النمط من التعليل يعطينا سهولة في فهم الخطاب القرآني الذي يركز على أهداف سهلة ميسرة للجميع، تتلخص في معرفة حقيقة الوجود، والغاية من الخلق، لربطها بالاستعداد لليوم الآخر، وإجادة العمل والصنع في الحياة، بربط حركات الإنسان بالله تعالى، والتركيز على ما ينفعه في الدنيا، دون ضياع الوقت فيما لا يفيد من المسائل التي لا يرجى من ورائها نفع ولا عمل.

كما أنّ هذا النمط التعليلي ينسج تماما مع مقتضى أفعال الله تعالى التي تتسم بالحكمة ورعاية المصلحة، «إنّ الله تعالى لم يخلق شيئا إلا وفيه حكمة، ولا خلق شيئا إلا وفيه نعمة، إما على جميع عباده، وإما على بعضهم»؛ هذه الحكم الإلهية لا يمكن حصرها، أو عدها.

2-مقاصد القرآن الكريم عند بعض العلماء:

أ-أبو حامد الغزالي: يصنف أبو حامد الغزالي مقاصد القرآن الكريم إلى ستة مقاصد تجتمع تحت مقصدين كبيرين، الأول منهما يجمع المقاصد الأصول والثاني المقاصد الفروع، ويقول في هذا الصدد: « سِرُّ القرآن، ولُبَابُه الأصفى، ومقصدُهُ الأقصى، دعوَةُ العباد إلى الجَبَّار الأعلى، ربِّ الآخرةِ والأولى، خالق السماوات العُلَى، والأرَضين السُلفى، وما بينهما وما تحت الثَّرَى، فلذلك انحصرت سُوَرُ القرآن وآياتُه في ستة أنواع:

- ثلاثة منها: هي السوابق والأصول المهِمّة.

- وثلاثة: هي الرَّوادف والتوابع المغنِيَة المتمَّة.

أما **الثلاثة المُهِمَّة** فهي:

(١) تعريف المدعو إليه.

(٢) وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه.

(٣) وتعريف الحال عند الوصول إليه.

وأما **الثلاثة المُغْنِيَة المُتِمَّة:**

- فأحدها: تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صُنع الله فيهم؛ وسِرُّهُ ومقصودُه التشويقُ والترغيبُ، وتعريفُ أحوال النَّاكبين والنَّاكلين عن الإجابة وكيفيةُ قمعِ الله لهم وتنكيلِهِ لهم؛ وسِرُّهُ ومقصوده الاعتبار والترهيب.

وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين، وكَشْفُ فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجَّة على الحق، وسِرُّه ومقصوده في جنب الباطل الإفضاحُ والتَّنْفير، وفي جَنب الحق الإيضاحُ والتَّثْبيتُ والتَّقْهير.

وثالثها: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأُهبة والاستعداد. فهذه ستة أقسام.»

أما عن مقاصد العقيدة فيقول: «وراء هذه العقيدة الظاهرة رتبتان إحداهما: معرفة أدلة هذه العقيدة من غير خوض على أسرارها، والثانية: معرفة أسرارها ولباب معانيها وحقيقة ظواهرها»؛ أما سبل كشف واستنباط هذه الأسرار والمعاني فيحددها في قوله: «...وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه، وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة، فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات، والإقبال بالكلية على الله تعالى، وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات...»

ب–محمد رشيد رضا: مقاصد القرآن الكريم عند محمد رشيد رضا متفرقة بين سورة، أجملها في عشرة مقاصد تهدف إلى: «إصلاح أفراد البشر وجماعاتهم وأقوامهم وإدخالهم في طور الرشد وتحقيق أخوتهم الإنسانية ووحدتهم وترقية عقولهم وتزكية أنفسهم»؛ أما تفاصيل المقاصد القرآنية عنده فتتمثل في:

أ–1–الإصلاح الديني: لأركان الدين الثلاثة الأساسية التي بعث الله بها جميع الرسل: الإيمان بالله، عقيدة البعث والجزاء، والعمل الصالح.

أ–2–بيان ما جهل البشر من أمر النبوة والرسالة ووظائف الرسل.

أ–3–بيان أن الرسل دين: الضمير والوجدان، الفطرة السليمة، العقل والفكر، العلم والحكمة، البرهان والحجة، الحرية والاستقلال.

أ–4–الإصلاح الاجتماعي الإنساني والسياسي: الذي يتحقق بالوحدات الثمان: وحدة الأمة، وحدة الجنس البشري، وحدة الدين، وحدة التشريع بالمساواة والعدل، وحدة الأخوة الروحية والمساواة في التعبد، وحدة الجنسية السياسة الدولية، وحدة القضاء، وحدة اللغة.

أ–5–تقرير مزايا الإسلام العامة في التكاليف الشخصية من العبادات والمحظورات.

أ–6–بيان حكم الإسلام الدولي: الإسلام دين هداية، دين سيادة، دين سياسة، دين حكم.

أ–7–الإرشاد إلى الإصلاح المالي.

أ–8–إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها وقصرها على ما فيه الخير للبشر.

أ–9–إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية، والدينية، المدنية.

أ–10–وأخيرا فقه القرآن: تحرير الرقبة.

ب–الطاهر بن عاشور: جعل الطاهر بن عاشور هو الآخر مقاصد القرآن الكريم متفرعة إلى ثمانية مقاصد يتفق في معظمها مع محمد رشيد رضا، ولكن يمكن إجمال هذه المقاصد في قسمين رئيسين، هما:

ب–1–مقاصد أصلية: التوحيد، البعث، الأوامر والنواهي.

ب–2–مقصد أعلى: صلاح: الأحوال الفردية، والجماعية، العمرانية.

هذا، ويرى الطاهر بن عاشور أنّ المقصد من كتاب الله تعالى صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية، ولا يتم صلاح الفرد إلا بإصلاح اعتقاده، حيث يقول: «فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد لأنّ الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم

صلاح السريرة الخاصة»؛ ومن ثمة فإنّ الطاهر بن عاشور قد رفع مقصد إصلاح الاعتقاد إلى رأس المقاصد الأصلية، إذ يقول: «الأول إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح. وهذا أعظم سبب لإصلاح الخَلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما...»

ج–طه جابر العلواني: يذهب العلواني إلى أنّ المبادئ الأساسية التي ينبغي أن ينطلق منها الفكر المقاصدي الكلي، هي: العهد، الاستخلاف، الأمانة والابتلاء والتسخير؛ أما عن المقاصد العليا التي استخلف الإنسان لأجلها فيحصرها في كل من: التوحيد، والتزكية، والعمران، يقول في هذا الصدد: «واستمرارا لنعمة تعليم آدم الأسماء؛ تتابعت الأنبياء والرسل يحملون الوحي الإلهي لمساعدة الإنسان على توجيه فعله باتجاه القيم التي تمثل المقاصد العليا التي استخلف لتحقيقها، وهي (التوحيد، والتزكية، والعمران). إذ إنّ هذه القيم الثلاث تمثل المقاصد العليا، والقيم الأساسية الكبرى، والمبادئ الأصلية، وهي في الوقت ذاته صالحة في كل زمان ومكان، لتكون مقياسا لسائر أنواع الفعل الإنساني، ولجمع الآثار المترتبة عليه في الدنيا والآخرة، توضح للإنسان ما في ذلك الفعل من صلاح أو فساد، وما يمكن أن يترتب عليه من استقامة أو انحراف...»

د–حنان اللحام: تقسم حنان اللحام مقاصد القرآن الكريم إلى محاور كبرى تتفرع عنها محاور فرعية، يمكن إجمالها فيما يأتي:

د–1–مقاصد الخلق: وتشمل: مقاصد خلق الإنسان، ومقاصد خلق الكون، ومقاصد القدر.

د–2–مقاصد الدين: وتشمل: رعاية العقل وتفعيله، تكريم الإنسان وإتمام النعم عليه، الصحة النفسية، العدل ومنع الظلم، تحسين الرزق، الصحة الجسدية.

د–3–المصالح: الوقاية من سوء العاقبة، النجاة والفلاح، تقرير الأنفع ونفي الضرر، إنهاء العداوة والخلاف، إيجاد مرجع للتحاكم.

د–4–الارتقاء للأفضل وتطوير الحياة الإنسانية: الأخلاق الطيبة، الصراط المستقيم، البر والإحسان، التجديد والتطوير، حمل الأمانة والريادة للأمم، التزكية والتطهير.

د–5–حفظ الدين: تقرير الحق، الدين لله، التثبيت على التوحيد والإيمان، إقامة الحجة –التبليغ– شهادة النبي صلى الله عليه وسلم، امتحان الطاعة، مصدقا للرسل، الوصول للجنة والمغفرة.

وهنا نلاحظ أن حنان اللحام تفرق بين مشمولات مقاصد الدين وحفظه.

وتبقى هذه نماذج من مقاصد القرآن الكريم التي اجتهد العلماء فاستنباطها من القرآن الكريم ومعرفتها تساعد الباحث في مقاصد العقيدة على استنباط هذه المقاصد.

ثانيا: السنة النبوية:

أصول العقائد اثنان: القرآن والسنة، ومَكْمَن معرفة مقاصد العقائد يكون أيضا من خلال هذين الأصلين، فالسنة بما تضمنته من أحاديث عقدية، إضافة إلى القرآن، تعتبر حقلا خصبا للبحث ودراسة مقاصد العقيدة. وعلاقة المقاصد بأحاديث العقيدة تدور حول إبراز فكرتين محوريتين:

1. إن غاية إيجاد الكون والحياة هو تسخيرهما للإنسان، وغاية إيجاد الإنسان هو استخلافه في الأرض، وغاية الاستخلاف هو إفراد الله بالعبادة.

2. إن الغرض الأسمى من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم هو تحقيق الرحمة في الدنيا والآخرة.

إذن، فقد جاءت السنة لتبين مقاصد القرآن الكريم من العقائد وتؤكدها وترسخها، وهي على هذا تعمل على رعايتها وحفظها وتثبيتها؛ كما أنها جاءت مفصلة لمسائل العقيدة المرتبطة بالجانب العملي المباشر من حياة المؤمنين، مزودة لهم بالأبعاد المعرفية والتربوية المرتبطة بعقيدتهم التي ترشد سلوكاتهم، وتحقق لهم الفلاح في الدارين، ومن نماذج ما يأتي:

الحديث النبوي	المبحث العقدي	المقصد العقيدة منه
-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلى الله عَلَيه وَسَلم، قَالَ: {يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ}.	الإيمان بالملائكة	-المقصد العقدي من الإيمان بالملائكة هو إيقاع رحمة الله، تعالى، بالخلق بأن وكل بهم ملائكة تحفظهم وتكتب أعمالهم ليستشعروا مراقبة الله تعالى الدائمة لهم، فيبادروا إلى إصلاح أعمالهم، ويعرفوا منن الله عليهم فيقابلوها بشكر الواهب سبحانه.
-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: "مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ "}	الإلهيات	المقصد العقدي من هذا الحديث ومن أحاديث النزول هو فضل الدعاء وخلوص القلب والنية في التوبة لله تعالى في أوقات معلومة (الثلث الأخير من الليل، أو يوم عرفة)، وليس الوقوف على كيفية نزول الله جل وعلا على ما خض فيه المتكلمون وأفاضوا.

ثالثا: الواقع الكوني والبشري:

1-الواقع الكوني: إنّ الكون بطبيعة تكوينه وتناسق عناصره وانبناء المسَبَبِ فيه على المسبِب، والنتائج على العلل محفز للعقل البشري ومذْكٍ فيه جذوة البحث والكشف، فليس نظام الكون والإبداع من قبيل الصدفة العبثية، ولا هو ضرب من ضروب الإهمال والنسيان، فالكون دال على خالقه، وخير ما عبر على ذلك قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ ﴾ (الجاثية: 3-5)؛ «إنّ الكون –في الفلسفة القرآنية- نفيس القيمة، غال عند صانعه ! لا لأنّه بذل فيه جهدا، أو دفع فيه ثمنا كلا: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ ﴾ ⁓يس: 82).

إنّ غلاءه راجع إلى دلالته على خالقه، فقد بنى لبنة لبنةً بالحق، وانتظمت أرجاءه قوانين محكمة، تجلى المجد الإلهي في أبهى صورة: ﴿ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾ (الأحقاف: 3). ولن يحسن معرفة الله، امرئ يعمى عن سنن الحق، ولن يخدم رسالات الله جهول بهذه السنن (...) وقد لفتنا القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى عظمة الخالق في كونه؛ كي نزداد إيمانا وله إذعانا.»

وعليه، فإنّ الكون والسنن التي أقيم عليها يعد خير مصدر ومرشد في الآن ذاته لمقاصد العقيدة.

2-الواقع البشري: إن الواقع والتاريخ البشري بما فيه من أخبار الماضين سجل حي ومجال خصب للعبرة والاسترشاد مما مر به الأولون، ولما كان الإنسان «هو الإنسان، قد يختلف في ريفه وحضره وأميته وثقافته، لكن ذلك الاختلاف يبدو في وسائله إلى أهدافه ..أما غرائزه فهي هي أصلها ثابت، فلا يعروها تغيير» فإنّ معرفة سير الأولين والاعتبار من نتائج أفعالهم لا يأخذ بها إلا اللبيب الذي أنار الله بصيرته ووفقه.

والمتأمل في تاريخ البشرية يلحظ أنه كلما أصيبت أمة بداء العجب والغرور بما أنجزته وأصمت آذانها عما جاءها به المصلحون إلا وذاقت وبال أمرها، ومما قصه لنا القرآن الكريم عن أخبار الأمم الظالمة نفسها أنّها «لا تبحث قضايا الألوهية والبعث والاستقامة والأدب بحثا موضوعيا تُعمِل فيه ما وهب لها من عقل، وتمنحه ما يستحق من عناية، إنما تهتم بشيء آخر (...) أنفسهم ومكانتهم ومالهم وجاههم»، وهو ما يجعلهم ينظرون إلى ما يأتي به الأنبياء، والدعاة والمصلحين تحديا لهم ولمكانتهم وخطرا عليهم تجب محاربته.

ولما كان للتاريخ البشري هذا الدور العظيم في الاعتبار فقد حض القرآن الكريم «المؤمنين على التفكر في حاضرهم، (و) يذكرهم أيضا بالتدبر في مصائر الأمم الغابرة التي طواها الزمن وحصد ديارها»، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الروم: 9-10)

- ومما سبق نخلص إلى أنّ مقاصد العقيدة مباحث تكتشف بالتأمل في الكتابين المسطور والمنظور، والاعتبار بما آلت إليه مصائر السابقين نتيجة أفعالهم (طاعة كانت أم عصيانا)، فإدراك كل هذه الأمور تفتح كشوفات ربانية لصاحبها فيلم ببعض مقاصد العقدية التي إن التزم بها كانت سبيله للفلاح في الدارين، وهو المقصد الأعلى للعقيدة الإسلامية كما جاءت في كتاب الله تعالى وبينها لنا رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.